دروس الحديث الشريف الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة الأحاديث القدسية

((من أحب لقاء الله))

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما وعملا متقبلا يا أكرم الأكرمين.

عندما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين عاماً بعث الله تعالى إليه ملك الموت، وأمره أن يخيره، فقال يا رسول الله: هل تحب أن أدخل فأنزع روحك، أو أن أرجع ، فربي أمرني أن أخيّرك ، فقال: بل أُدخل يا ملك الموت، **فإني اشتقت إلى ربي.**

كلنا نشتاق لرؤية أهلنا، وأحبابنا، أحيانا تشتاق لمزرعتك، تشتاق لزوجتك، تشتاق لأبيك لأمك لأخيك لصاحبك...

فهل ممكن أن تشتاق إلى الله؟

هناك أناس يشتاقون للخلوة بربهم؛ فيقوم في الليل ويناجي ربه، وأحياناً يحب أن يرى ربه، فيذهب إليه بالموت.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ: ((إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ))[البخاري].

أصح كتاب بعد القرآن الكريم عند المسلمين هو صحيح البخاري، مؤلفه اسمه: محمد بن إسماعيل البخاري، وهو من وفيات سنة 256هـ يعني مضى على وفاته ألف ومئتا عام تقريباً.

ومنذ ألف ومئتي عام وحتى الآن، ما من خطيب جمعة يخطب، إلا ولا بدّ أن يقرأ في كتاب الإمام البخاري، ما من شيخ يريد أن يدرس الشريعة، إلا ولا بدّ له من أن يقرأ

كتاب الإمام البخاري، وما من عالم يريد أن يؤلف، إلا وعليه أن يقرأ كتاب الإمام البخاري، ما هذا الرجل العظيم!.

والده إسماعيل كان في سكرات الموت، وسكرات الموت شديدة، جعلت جبينه يتفصد عرقا، ابنته جالسة قريباً من أبيها، فشاهدت أباها في ضيق، وفي كربات الموت، فجعلت الابنة تبكي، ففتح إسماعيل عينيه وقال: يا بنية لم تبكين ؟! **فوالله ما أدخلت إلى جوفي ، ولا إلى جوفكم لقمة حرام** . أنا مسرور لأني ذاهب إلى ربي.

✔ أحد حفّاظ القرآن الكريم، جاءته سكرات الموت، أيضاً ابنته كانت جالسة بالقرب منه، فبكت، ففتح عينيه، وقال: يا بنية لم تبكين ؟! انظري إلى تلك الزاوية، وأشار إلى زاوية في غرفته، وقال: **والله لقد ختمت في تلك الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة قرآن، فلم تبكين؟!**.

إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ....

✔ سيدنا بلال الحبشي في سكرات الموت، وابنته تبكي، فقال: يا بنية لم تبكين ؟! **غدا ألقى الأحبة، محمداً وصحبه**. أنا ذاهب إلى سيدنا محمد فلم تبكين.

الحبيب يتمنى لقاء حبيبه، وينتظر اليوم الذي سيذهب فيه إلى هناك؛ أما المجرم هو الذي يخاف!.

كان أحد الباعة يطفّف ويتلاعب في الموازين، يعني هناك غش وخديعة، وهناك اعتداء على أموال الناس، عندما جاءه ملك الموت جعلوا يلقّنونه: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، **وهو يقول**: جَبَلان من نار، جبلان من نار، فاستيقظ قليلاً، فقالوا له: ما بك؟، نحن نقول لك قل: لا إله إلا الله، وأنت تقول جبلان من نار؟ فقال: عُرِض لي جبلان من نار، وقد كُلّفت أن أرقى أحدهما. (والعياذ بالله) يتلاعب بالموازين فالله جعل له هذا المقام.

✓ سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، في صباح يوم موته، رأى في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: **يا عثمان تصبح صائماً وتفطر عندنا إن شاء الله.**

استيقظ عثمان في الصباح فرحاً مسروراً، فأُحضِر له الطعام، فقال: إني صائم. الحبيب يتمنى القدوم على حبيبه، وبالفعل في ذلك اليوم وهو صائم يتلو القرآن، قُتِل شهيداً رضي الله عنه، ووقع دمه على المصحف، ونسأل الله أن يكون أفطر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أحد الإخوة كان له قضية في المحكمة فوكّل محامياً، فطالت هذه القضية، وإذا به بعد فترة يكتشف أن محاميه قد اتفق مع محامي الخصم، والاثنان يأخذان مالاً من موكليهما والقضية تطول في المحكمة!.

هؤلاء أغبى خلق الله على الإطلاق، لأنهم حسبوا حساب كل الخلائق، ولم يحسبوا حساب الله، وحساب الوقوف بين يديه جل في علاه!.

أحياناً يأتيك خاطب لابنتك، فتسأل عنه، فيقولون لك: والله هذا الرجل جيد من بيته إلى عمله، ومن عمله إلى بيته، نقول له: أرجوك لا تقبل خطوبته لابنتك، فهذا شخص سيئ جداً .

نحن في الشام نقول عن هذا الشخص: أنه جيد من بيته إلى عمله، ومن عمله إلى بيته ولكن أين المسجد؟؟هذا الشاب مخيف لا تعطيه.

أعط رجلاً من بيته إلى عمله، ومن عمله إلى مسجده ومن مسجده إلى بيته، أما إن لم يكن هناك مسجد، فهذا الشاب يجب أن تنتبه!.

إذا كان رجل يعمل، ويحوّل المال إلى بلد آخر، وقد حوّل كميات كبيرة من الأموال، ثم قالوا له: غدا ستسافر، فهو يكون مسرور جداً، لأنه سيذهب ليرى نتيجة الشيء الذي حوّله إلى هذه البلد.

أيضا إذا قمت بأعمال للآخرة، فإنك تتمنى وتنتظر الساعة التي يقال لك فيها: **تعال إلى ربك؟**. انظر إلى هذا الموقف الذي حصل في غزوة أحد:

(مَرّ أَنَسُ بْنُ النّضْرِ بِقَوْمٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ مَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ مَا تَصْنَعُونَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ ثُمّ اسْتَقْبَلَ النّاسَ وَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعْدُ إنّي لَأَجِدُ رِيحَ الْجَنّةِ مِنْ دُونِ أُحُدٍ فَقَاتَلَ حَتّى قُتِلَ وَوُجِدَ بِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً)[زاد المعاد]

بينما نجد غير المؤمن إذا جاءه ملك الموت، قال:رب ارجعون.

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100) ﴾ [المؤمنون] . يا رب ارجعني إلى الدنيا، لعلي أعمل صالحاً فيما تركت؛ فقط حتى أوصي، حتى أقول لأولادي: ابنوا مسجداً على روحي، أرجوكم ابنوا مسجداً، أنا أنصحك أن تبني مسجداً وأنت حيّ، لأن أولادك لن يبنوا المسجد بعد موتك، تقول لهم: يا أولادي ضعوا عشرة ملايين في الجمعية الخيرية الفلانية للأيتام، أنا أنصحك أن تضعها بيدك، لأن أولادك لن يضعوها، فإذا أنت لم تُنفق مالاً في وجوه الخير، فمِن باب أولى، أن أولادك لا ينفقوا !.

فلنفعل نحن الخير بأنفسنا، ثم نسأل الله أن يوفّق أبنائنا لفعل الخير أيضاً.

فالصالحون يتمنون لقاء الله تعالى، أما المقصرون فيخافون من هذا اللقاء.

إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ.

سنختم بهذه القصة عن:

✓ سَلَمة بن دينار (أبو حازم)، تابعي، ومن علماء أمتنا الأفاضل: **(دخل سليمان بن عبد الملك المدينة حاجّاً، فسأل: هل رجل أدرك من الصحابة أحدا؟ قالوا: نعم أبو**

حازم، فأرسل إليه، فلما أتاه قال: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال: وأي جفاء يعتد مني يا أمير المؤمنين، قال: أتاني وجوه الناس غير واحد، ولم تأتني، قال: والله ما عرفتني قبل هذا، ولا أنا رأيتك، فأي جفاء تعتد مني؟ فالتفت سليمان إلى ابن شهاب فقال: أصاب الشيخ وأخطأت أنا، ثم قال: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال: عمّرتم الدنيا وخرّبتم الآخرة، فأنتم تكرهون أن تخرجوا من العمران إلى الخراب، قال: يا أبا حازم ليت شعري ما لنا عند الله؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله، قال: فأين أجده من كتاب الله ؟ قال: ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾ قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال أبو حازم " قريب من المحسنين " قال سليمان: يا أبا حازم ليت شعري كيف العرض غدا على الله تعالى ؟ قال أبو حازم : أما المحسن فكالغائب، يقدم على أهله وأما المسيئ كالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان حتى اشتد بكاؤه، ثم قال: يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح؟ قال: تدعون عنكم الصلف وتمسكون بالمروءة وتقسمون بالسوية، قال: وكيف المأخذ لذلك ؟ قال: تأخذ من حقه وتضعه في أهله، قال: يا أبا حازم من أفضل الخلائق؟ قال: أولو المروءة والنهى، قال:فما أعدل العدل؟قال:العدل قول الحق عند من ترجوه وتهابه) [تاريخ دمشق لابن عساكر].

قال الخليفة: كيف العرض غدا على الله تعالى؟ قال أبو حازم: أما المحسن فكالغائب، يقدم على أهله وأما المسيئ كالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان حتى اشتد بكاؤه ، وهنا الشاهد في القصة، وهذا الكلام لنا جميعاً .

وإننا في رمضان، ونحن كلّنا نقصر فتعالوا نعود إلى الله، ولعل القدوم إلى الله يكون قريباً، فتعالوا نتوب، والله كريم يسامح عباده، ويغفر، ويعرف أننا مقصرون، ويقول لنا: تعالوا أقبلوا.

ثم قال: يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح؟ قال: تدعون عنكم الصلف وتمسكون بالمروءة وتقسمون بالسوية، قال: وكيف المأخذ لذلك؟ قال: تأخذ من حقه وتضعه في أهله .

إياك أن تعجب بنفسك، وتتكبّر، تقول: أنا ابن فلان، أنا معي كذا، أنا الذي أعلمه كلكم لا يعلمه، أنا ملك السوق.

إذا آلمك ضرسك، فإنك تأتي إلى عيادة طبيب الأسنان وأنت تبكي!.

كن ابن من شئت، لا تتكبر، والله إذا مرضت، فإنك تحتاج إلى طفل صغير، ليحضر لك كأساً من الماء، ولعلك تُقبّل يده إذا أحضر لك هذا الكأس!

نسأل الله عز وجل أن يحبّب لنا لقاءه، وأن يُصلح أعمالنا، وأن يُصلح أخلاقنا، وأن يُكرمنا بالصلاح، كما أصلح عباده الصالحين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين.